



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (شرح السنة للبرهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (7)

التاريخ: الأحد 25/ذو القعدة/1440 هـ

28/تموز/2019 م

الدرس السابع من شرح السنة للبرهاري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

قال المؤلف رحمه الله: ([14] والإيمانُ بالرؤية يوم القيامة؛ يرون الله عزّ وجل بأعين⁽¹⁾ رؤوسهم، وهو يحاسبهم بلا حاجِبٍ⁽²⁾ ولا تُرجُمان).

هذا أصل من أصول أهل السنّة والجماعة وهو رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة؛ إثبات أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم؛ هذه عقيدة أهل السنّة والجماعة. وقد ذكرنا في دروس سابقة أن ثلاث صفات هي أعظم الصفات التي خالف فيها أهل الباطل أهل السنّة والجماعة: **صفة الكلام، والعلو، والرؤية.**

- علوّ الله على خلقه،

- ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة- وهي المسألة التي معنا الآن-

- وكلام الله تبارك وتعالى،

وقد ذكرنا في الدرس الماضي والذي قبله صفة العلو وصفة الكلام، واليوم معنا الصفة الثالثة وهي صفة الرؤية.

عقيدة أهل السنّة والجماعة: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأعينهم رؤية حقيقية كما قرّره المؤلف رحمه الله، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع:

• أما الكتاب:

- فقول الله تبارك وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾⁽³⁾، وقد فسّر النبي ﷺ هذه الآية كما

جاء في صحيح مسلم⁽⁴⁾ عن صهيب عن النبي ﷺ: قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله

تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيضّ وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجيننا من

(1) في نسخة: (بأبصار)

(2) في نسخة: (بلا حجاب)

(3) [يونس: 26]

⁴ أخرجه مسلم (181).

النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل" ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فالزيادة في هذه الآية هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

- وأما الدليل الثاني فهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾⁽¹⁾، ﴿وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة، و﴿ناصرة﴾ من النضارة وهي البهاء والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ أي: تنظر إلى الله تبارك وتعالى.
- والدليل الثالث قول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾⁽²⁾ أي الكفار، فلما حجب الكفار في حال السُّخْط؛ دل على رؤية المؤمنين له وعدم حجهم عن النظر إليه في حال الرضا.

• وأما من السنة:

فجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تُضامون في رؤيته"⁽³⁾، وهذا نص صريح في مسألة الرؤية.

وكذلك جاء في الحديث: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان"⁽⁴⁾. وساق ابن القيم رحمه الله في كتابه "الروح" عدة أحاديث في مسألة رؤية الله تبارك وتعالى، وأحاديث هذه المسألة متواترة.

- وإجماع أهل السنة والجماعة منعقد أيضاً على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة. هذه هي الأدلة المحكمة في هذه المسألة، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

بقي عندنا أن نعرف ما هي عقيدة أهل البدع الذين خالفوا عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا، المتكلمون يخالفون في هذا فيقولون بأن الرؤية لها هنا تستلزم معنى باطلاً لو أثبتناها؛ تستلزم أن الله جسم؛ فلا تُرى إلا الأجسام، والأجسام مخلوقة؛ ففيه تشبيه لله تبارك وتعالى

(1) [القيامة: 22] .

(2) [المطففين: 15].

(3) أخرجه البخاري (554)، ومسلم (633) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(4) أخرجه البخاري (6539)، ومسلم (1016) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

بخلقه، وهذا محرّم غير جائز؛ فلذلك ينفون الرؤية بهذا اللازم العقلي، ويفسّرون الرؤية الواردة في النصوص بالرؤية القلبية أو برؤية النعيم؛ لذلك عند ذكر المؤلف رحمه الله لهذه المسألة هنا؛ قال: (يرون الله عزّ وجل بأعين رؤوسهم)، لماذا ركّز على أعين رؤوسهم؟ لأنه احتاجها من أجل أن يرد على الذين يقولون بأنهم يرون الله بقلوبهم؛ فردّ قولهم بقوله: (يرونه بأعين رؤوسهم)، فهذا رد على المعطّلة.

وهؤلاء المعطّلة الذين ذكرنا قولهم، هم انقسموا إلى قسمين:

١. قسم نفوا الرؤية؛ وهؤلاء هم المعتزلة والجهميّة،

٢. وقسم آخر أثبتوا الرؤية؛ وهم الأشاعرة من المتكلمين من المعطّلة- وكلّهم من المعطّلة.

لكن هنا مسألة مهمة: وهو أن بين قول الأشاعرة وقول أهل السنّة فرق في هذه المسألة:

- فأهل السنّة يثبتون الرؤية ويثبتون العلوّ لله تبارك وتعالى،

- الجهميّة والمعتزلة لا يثبتون الرؤية ولا يثبتون العلو،

- أما الأشاعرة فقد تناقضوا؛ فأثبتوا الرؤية ونفوا العلو.

الآن نحن بشر عندما نوجّه نظرنا إلى شيء لا بد أن نوجّه نظرنا إلى جهة معيّنة؛ إما إلى العلو أو إلى اليمين أو إلى الشمال إلى أي جهة من الجهات، فعندما نقول: إننا نرى الله سبحانه وتعالى؛ فإذا كنا سنراه فأين ننظر؟

ننظر إلى العلو، إذاً إذا أثبت الرؤية؛ فثبت معها علوّ الله تبارك وتعالى، أو تثبت الجهة كما يسمّونها- لا بد من هذا- فعندما نقول: ثبت لا إلى جهة؛ فسيصير هنا تناقض وتضارب وخلط في الأمور؛ إذ كيف يرى الناس ربّهم تبارك وتعالى لا إلى جهة لا ينظرون يمينا ولا شمالاً ولا أعلى ولا تحت ولا شيء؟ هذا الكلام مستحيل؛ لذلك لما تكلم العلماء في هذه المسألة ذكروا الأشاعرة وذكرنا قولهم، قالوا: هذا قول يضحك منه العقلاء، والذي أدّاهم إلى هذا التناقض؛ هو تناقضهم أصلاً في أصولهم وفي تفريعاتهم؛ فوافقوا الجهميّة في أصولهم الأساسية، ثم حاولوا بعد أن اصطدمت أصولهم مع نصوص الشرع ونصوص السلف رضي الله عنهم؛ حاولوا أن يوفقوا بينها بهذه الطريقة؛ فتخبّطوا وأتوا بمذهب متخبّط مضطرب؛ هذا هو قول الأشاعرة. وقد ذكرنا قول المعتزلة، وأنهم ينفون الرؤية وينفون العلو، فمن حيث التعقيد والتأصيل

عندهم على أصولهم؛ هم أضبط من الأشاعرة، لكن من حيث الإثبات والتعطيل؛ فالأشاعرة أقرب إلى الصواب من المعتزلة والجهمية.
بقي عندنا هنا أمر:

عرفنا فيما مضى بأن أهل البدع حين يعطلون صفة يتعلّقون ببعض المتشابهات كي يلبّسوا على الناس؛ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (1) إذاً

عندهم نصوص متشابهة يمكن أن يتعلّقوا بها في نفي الرؤية؛ فما هي هذه النصوص؟
تعلّقوا بنصين؛ الأول: قول الله تبارك وتعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ في آية: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ (2)، هذا النص الأول الذي تعلّقوا به.

وليتّم لهم الاستدلال؛ فهم بحاجة لأن يثبتوا بأن: (لن) تفيد التأييد، ماذا نعني بالتأييد؟ يعني عندما يقول لك شخص: أنت لن تأكل عندي، معنى ذلك: أن الأكل عندي ممنوع مطلقاً إلى الأبد، لا يمكن أن يأتي وقت من الأوقات وتأكل عندي؛ هذا معنى التأييد، فإذا قلت هذا الشيء لن يحصل؛ فمعناه: (إلى الأبد) انتهى الأمر.

أرادوا أن يثبتوا هذا من الناحية اللغوية؛ فحاول الزمخشري أن يثبت في "تفسيره" أن (لن) تفيد التأييد، ورد عليه ابن مالك رحمه الله وأثبت أن (لن) لا تفيد التأييد، والدليل على عدم إفادتها التأييد أن الله تبارك وتعالى قال في اليهود: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾ (3)، ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾ مع أن الله سبحانه وتعالى قال فيهم بأنهم يقولون لمالك يوم القيامة: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (4)، فكيف تقولون الآن؟

إذاً (لن) هنا لا تفيد التأييد؛ وهذا هو الصحيح، وابن مالك من أئمة اللغة، وقد نصّ على أن "لن" لا تفيد تأييداً، وكذلك ذكر ذلك ابن هشام رحمه الله.
فإذا قلنا بأنها لا تفيد تأييداً؛ فقد هدمنا أصلهم الذي يحاولون بناءه، فيكون معنى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ أي: في الوقت الذي طلبت رؤيتي فيه وهو في الدنيا، والسياق يدل على هذا؛ لأن موسى عليه

(1) [آل عمران:7]

(2) [الأعراف:14]

(3) [البقرة:95]

(4) [الزخرف:77]

السلام عندما طلب رؤية الله سبحانه وتعالى طلبها في الدنيا ولم يطلبها في الآخرة؛ فلذلك قال له ربنا تبارك وتعالى: ﴿لن تراني﴾ أي: لن تراني في الدنيا، أما في الآخرة؛ فستراني لأن (لن) لا تفيد تأبيداً، هذه الآية الأولى التي يستدلون بها على قولهم.

وأما الآية الثانية وهي أيضاً من المتشابهات وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾⁽¹⁾، قالوا: بما أنه لا تدركه الأبصار؛ إذاً لا تمكن رؤيته تبارك وتعالى، ففسّروا الإدراك بمعنى النظر، وهذا خطأ؛ فالإدراك بمعنى الإحاطة، والإحاطة لا يمكن أن يحيط أحد بالله تبارك وتعالى؛ لذلك فالمنفي في هذه الآية الإحاطة وليس النظر.

إذاً هذه الآيات التي يستدلون بها إنما هي من المتشابهة وليست من المحكم، والسني يأخذ الآيات والنصوص المتشابهة ويحملها على المحكم، فتستقيم معه ويثبت عنده أن القرآن لا تناقض بين آياته، كـلّه من عند الله تبارك وتعالى ولا يحصل تناقض بين نصوص الكتاب والسنة، وإنما التناقض يكون في عقول البشر، هذه هي الأدلة المتشابهة التي تعلّق بها القوم، وننتقل إلى المسألة التي بعدها.

قال المؤلف رحمه الله: **[(15) والإيمان بالميزان يوم القيامة، يُوزن فيه الخير والشر، له كِفَتَانِ وله لسان.]**

هذه مسألة جديدة من عقائد أهل السنة والجماعة وهي إثبات الميزان يوم القيامة، الميزان الذي توزن فيه الأعمال.

من عقيدة أهل السنة إثبات هذا الميزان وأنه يوزن فيه الخير والشر،

• وأدلة ذلك من القرآن: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا

يَظْلِمُونَ﴾⁽²⁾. وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ (٨) فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾⁽³⁾.

(1) [الأنعام:103]

(2) [الأعراف:8،9]

(3) [الفارعة:6]

وقال أيضاً: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (1).

وأما من الأحاديث، فجاء ذكر الميزان في حديث البطاقة الذي قال النبي ﷺ: "فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة" - سجلات السيئات للعبد توضع في كفة، والبطاقة التي فيها قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله توضع في كفة ثانية، قال: "فطاشت السجلات وثقلت البطاقة" (2)، هذا دليل على أن الميزان موجود ويوضع يوم القيامة.

ومنها حديث: "الحمد لله تملأ الميزان" (3).

وكذلك حديث ابن مسعود لما ارتقى على شجرة رأى الصحابة دقة ساقيه فضحكوا فقال النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد" (4)، أثقل أين؟ في الميزان.

ومنها قول النبي ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" (5). ومنها قول النبي ﷺ: "إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة" (6).

وأجمع السلف على ثبوته وأنه حق؛ ميزان حقيقي بلسان وكفتين، فقد سئل عنه الحسن البصري- وهو من أئمة التابعين أخذ عن الصحابة رضي الله عنه- فقال: (له لسان وكفتان) (7). وقال زهير بن عباد: (كل من أدركت من المشايخ: مالك وسفيان وفضيل وعيسى بن يونس وابن المبارك ووکیع بن جراح كانوا يقولون: الميزان حق) (8) انتهى كلامه. وكذا قال يحيى بن معين والإمام أحمد وغيرهم، وخالف في ذلك المعتزلة، قال أبو إسحاق الزجاج: (وأنكرت المعتزلة

1 الأنبياء 47

2 أخرجه الترمذي (2639) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

3 - أخرجه مسلم (223) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

4 - أخرجه أحمد (3991).

5 - أخرجه البخاري (6406)، ومسلم (2694) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

6 - أخرجه البخاري (4729)، ومسلم (2785) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

7 - أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (2210).

8 - أخرجه ابن زمين في "أصول السنة" (93).

الميزان وقالوا: هو عبارة عن العدل⁽¹⁾ بهذا حرفوه، أينما يرد ذكر الميزان؛ فعندهم هو العدل وليس الميزان الحقيقي.

قال: (فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم مُمثلة؛ ليكونوا على أنفسهم شاهدين). انتهى كلام الزجاج.

فبيّن أبو إسحاق هنا الحكمة من وضع الميزان؛ لأن المعتزلة قالوا: ماذا يريد الله من الميزان؟ وماذا يفعل بالميزان؟ الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعدل من غير الميزان؛ لا شك في ذلك، لكن قال أبو إسحاق ما الذي أراده الله من هذا؟ قال: (لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين)؛ هذه الحكمة؛ لكي يرى الناس أعمالهم وهي توزن بالميزان فيرون ما فعلوا من خير وما فعلوا من شر وأيهما أغلب؛ كي يشهدوا على أنفسهم بالخير أو بالشر، بالنجاة أو بالهلاك؛ هذه الحكمة المقصودة، وإن لم نعلم الحكمة؛ فما لنا أن نعترض على مثل هذه النصوص؛ فربما تكون الحكمة أعلى من عقولنا وأكبر فلا تدركها عقولنا، فالواجب علينا أن نسلّم لله سبحانه وتعالى لا أن نحكم على الله بعقولنا القاصرة. وللمعتزلة حُجة ثانية وهي: أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بنفسها.

ما معنى الأعراض؟ الأعراض هي الصفات التي تعرض وتزول كالحمى مثلاً، الحمى عند الإنسان تسمى عَرَض؛ فهذا معنى الأعراض عندهم، فالصفات عندهم يستحيل وزنها؛ لأنها ليست أشياء ملموسة، كُتِل؛ ليس لها جرم، لا تستطيع أن تزنها؛ هكذا ينظرون إلى الأمور بعقولهم، والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير؛ فالله سبحانه وتعالى قادر على وزنها؛ انظروا إلى الموت: هل هو عَرَضٌ أم ليس عَرَضاً؟ هو عَرَض، ماذا يُفعل به الله يوم القيامة؟ يحوّله الله إلى كبش ثم يذبحه، مع أنه عَرَض، فالله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، فلا تُعارض نصوصُ الشرع بمثل هذا.

أما قول أهل العلم وقول المؤلف أيضاً: (له كَفَّتَان وله لسان)، أما الكَفَّتَان فدلِيلهما حديث البطاقة، قال النبي ﷺ: "فتوضع السجّلات في كَفّة والبطاقة في كَفّة" إذاً فهما كَفَّتَان.

1 - "فتح الباري" (58/15).

وفي حديث سلمان رضي الله عنه: "ويوضع الميزان يوم القيامة ولو وُضعت في كفتيه السماوات والأرض وما فيهن لو سعتهم"⁽¹⁾، فالكفتان ثابتتان بالسنة الصحيحة.

وأما اللسان: وهو الذي يميل بالكفتين يمنة ويسرة؛ فلا يوجد دليل من الكتاب أو من السنة على ذكره فيما وقفت عليه؛ **لكن الإجماع منعقد عليه**؛ فلذلك تجد ذكره في كتب الاعتقاد دون نكير، والإجماع منعقد على ذكر اللسان وعلى ثبوت اللسان في الميزان، نقل الإجماع على ذلك أبو إسحاق الزجاج ذكره عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري⁽²⁾، فالإجماع منعقد من السلف على إثبات اللسان في الميزان؛ هذا ما اتفق عليه في هذه المسألة، وهو الذي سطره المؤلف في كتابنا هذا.

ويوجد في الميزان بعض المسائل التي اختلف فيها أهل العلم؛ منها:

هل الذي يوزن الأعمال أم الصحائف أم صاحب العمل نفسه؟

في المسألة خلاف، والراجح أن جميعها توزن؛ لأن النصوص التي ذكرناها تدل على ذلك،

• فالدليل على أن الصحف توزن حديث البطاقة،

• والدليل على أن العمل يوزن حديث: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان

الله وبحمده سبحان الله العظيم"،

• والدليل على أن الشخص نفسه يوزن حديث ابن مسعود وأيضاً حديث: "إنه ليأتي الرجل

العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة"، إذاً كلّها توزن هذا هو الصحيح إن شاء الله.

واختلف العلماء هل الميزان واحد أم متعدّد؟ أي: الميزان واحد أم أكثر من واحد؟

بعضهم قال: هو واحد ونظر إلى الأحاديث التي وردت في ذلك،

والبعض قال: بل هو متعدّد ونظر إلى الآيات؛ والراجح عندي والله أعلم: أنه واحد؛ لأن

النصوص في كونه واحداً أوضح وأصرح، أمّا الآيات التي قال فيها: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾؛ فهنا

(1) أصله عند الحاكم في "المستدرک" (8739) من غير ذكر الكفتين، وقد أخرجه الآجري في "الشریعة" (894).

وأما ذكر الكفة في "المستدرک" فهو في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها (154).

(2) (538/13).

محمول على أن المعنى المقصود هنا الموزون ﴿فمن ثقلت موازينه﴾، ﴿ومن خفت موازينه﴾ أي: أعماله الموزونة أو بطاقاته الموزونة؛ هذا والله أعلم.

على كلّ: المسألة اجتهادية كما ذكرنا وليست من النصوص التي فيها أدلة محكمة يُضلل مخالفاً.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **[16] والإيمانُ بعذابِ القبر، ومُنكر ونكير).**

قال البراء بن عازب رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾⁽¹⁾ قال: (نزلت في عذاب القبر)⁽²⁾، هذا

الدليل الأول الذي يدل على عذاب القبر.

وفي حديث اليهودية التي قالت لعائشة: سَلِيَ النبي ﷺ عن عذاب القبر فسألته فقال النبي ﷺ: "عذاب القبر حق"، قالت: "فما صلى صلاة بليل إلا سمعته يتعوذ من عذاب القبر"⁽³⁾.

وقال ﷺ: "لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر"⁽⁴⁾.

وقال أيضاً في الرجلين الذين مرّ على قبرهما: "إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير"⁽⁵⁾.

أيضاً علّمنا النبي ﷺ أن نقول في دُبر كل صلاة: "اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر"⁽⁶⁾.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر وغيره أن أدلة عذاب القبر متواترة، فالذين أنكروا عذاب القبر كالمعتزلة قالوا بأن الأدلة الواردة فيه أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد عندهم؛ فهم يقعدون القواعد كي يتخلصوا من مثل هذه العقائد، فحين يقعدون هذه

القاعدة وأن أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد؛ يكونون قد ارتاحوا من أكثر أحاديث النبي ﷺ وتخلصوا منها، ويبقى عندهم البعض الآخر مع الآيات؛ فقعدوا قاعدة الحقيقة والمجاز فتخلصوا مما بقي، فماذا بقي عندنا؟ بقي العقل؛ وهذا هو شرعهم، وهكذا طريقتهم، أهل البدع إما أن يتلاعبوا بالقواعد وهذا هو عملهم غالباً، أو أن يتلاعبوا في تطبيق القواعد،

¹ - [إبراهيم: 27].

² - أخرجه البخاري (4699)، ومسلم (1871).

³ - أخرجه البخاري (1372)، ومسلم (903).

⁴ - أخرجه مسلم (2868) عن أنس رضي الله عنه، وأصله عند البخاري

⁵ - أخرجه البخاري (216)، ومسلم (292) عن ابن عباس رضي الله عنهما

⁶ - أخرجه البخاري (832)، ومسلم (589) عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة.

فالمعتزلة هنا ذكروا بأن أحاديث عذاب القبر أخبار آحاد، لكن غيرهم من أهل العلم ردّوا عليهم؛ منهم الحافظ ابن حجر وغيره، فقالوا بأن الأحاديث في عذاب القبر أخبار متواترة تواتراً معنوياً.

- والتواتر المعنوي: هو أن يأتي ذكر عذاب القبر في أحاديث مختلفة كالتي ذكرناها، لكن كلها في النهاية تدل على عذاب القبر؛ هذا هو التواتر المعنوي.
- أما التواتر اللفظي: فتجد الحديث قد جاء من طرق كثيرة؛ لكن كلها بلفظ واحد كقول النبي ﷺ: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" تجده من طرق كثيرة؛ لكن بنفس اللفظ، فهذا متواتر لفظي وذاك متوتر معنوي.

هذه الحجّة الأولى للمعتزلة الذين نفوا عذاب القبر، ومنهم اليوم حزب التحرير على عقيدة المعتزلة في العقيدة، وهم موجودون اليوم.

وحجّتهم الثانية- وكما ذكرنا دائماً عندهم متشابهات يتعلّقون بها كي ينفوا العقيدة التي دلّت عليها الأدلة المحكمة-، فحجّتهم الثانية قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا

اثْنَتَيْنِ﴾⁽¹⁾ أين الحجّة في هذا؟

قالوا: إذا أحياهم الله في القبر وأماتهم، صارت ثلاثة؛ فكيف يقول هنا اثنين وهناك ثلاثة؟ قلنا لهم: الحياة التي ذكروها هنا غير الحياة التي في القبر؛ تلك حياة البرزخ، حياة القبر، والروح عندما تجتمع بالجسد؛ اجتماعها في ذلك الموطن يختلف عن اجتماعها الذي ذكر في هذه الآية؛ فالاجتماع ذاك تحتاج معه إلى الطعام إلى الشراب إلى النّفس، أمّا الاجتماع في القبر فلا يحتاج معه إلى ذلك.

فإذاً فعندنا حياة تختلف عن حياة أخرى؛ فلا يصح الاستدلال بمثل هذه المتشابهات وترك الأدلة المحكمة.

إذاً خلاصة الأمر: أن عذاب القبر ثابت بالأدلة المتواترة كما ذكرنا.

(1) [غافر: 11]

وقوله: (ومنكر ونكير) يشير المؤلف إلى أن الفتنة التي تحدث في القبر الإيمان بها واجب ومن عقيدة أهل السنة والجماعة، فما جاء في الأحاديث؛ حديث أنس في الصحيحين⁽¹⁾ وحديث البراء عند أبي داود⁽²⁾ وغيره بأن الإنسان إذا وضع في قبره يأتيه ملكان فيسألانه من ربك وما دينك وماذا تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فإذا كان الرجل مؤمناً يقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ وإذا كان غير ذلك يقول هاه هاه لا أدري، فيضرب بمرزبة يسبخ معها في الأرض ويصرخ صرخة يسمعه كل شيء إلا الثقلين كما جاء في الأحاديث النبوية عن النبي ﷺ؛ فهذا يدل على أن الناس يُفتنون في قبورهم كما أخبر النبي ﷺ، فنحن نؤمن بهذا وهذه كلها حياة برزخية، سميت برزخية؛ لأن القبر بين الدنيا وبين الآخرة، فالقبر منزلة بين الدنيا والآخرة؛ لذلك يسمى البرزخ؛ لأن البرزخ أصلاً هو الحاجز بين الشيئين كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾⁽³⁾ بينهما حاجز، فالقبر هذا حاجز ما بين الدنيا والآخرة، فسميت هذه الحياة- حياة القبر-: حياة برزخية، فهي لا تشبه الحياة الدنيوية فلا تقاس عليها، وأمورها غيبية، فنؤمن بما أخبرنا به النبي ﷺ فيها ونسلم له، هذه حقيقة إيمان المؤمن.

وتسمية الملكين بمنكر ونكير يذكرها أهل العلم في كتب الاعتقاد من غير نكير، وورد ذكرها في حديث عند الترمذي⁽⁴⁾، قال الشيخ الفوزان حفظه الله في شرحه على هذا الكتاب: (فالأدلة على عذاب القبر متواترة، فمن كذب بعذاب القبر من المعتزلة ومن نحا نحوهم) يعني من سار على عقيدتهم (فإنه مخالف للأدلة المتواترة ويكون مختل العقيدة والعياذ بالله وفاقداً لأصل من أصول العقيدة وهو الإيمان بعذاب القبر، فإن كان متعمداً عارفاً بالنصوص لكن يكابر وينفي؛ فهو كافر، أما إذا كان متأولاً أو مقلداً أو جاهلاً، فهذا لا يكفر؛ لكن يضل ولا يكفر) هكذا قال حفظه الله.

(1) أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870).

(2) (4750): "إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ فَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ}." (الرحمن: 19).

(3) [الرحمن: 19].

4 - (1071) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا فُتِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحْدَكُم - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: الْكَفِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ ..."

قال المؤلف رحمه الله: ([17] والإيمان بحوض رسول الله ﷺ، ولكل نبي حوض؛ إلا صالحاً عليه السلام؛ فإن حوضه ضرع ناقته).

الحوض: مجمع الماء، أي: المكان الذي تجتمع فيه المياه، يرده المؤمنون ويشربون منه، وهو للنبي ﷺ، وأحاديث الحوض متواترة منها: قوله ﷺ: "حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق - يعني: الفضّة - وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء - يعني آنيته التي يشربون بها عددها كنجوم السماء - فمن يشرب منه فلا يظمأ بعده أبداً"⁽¹⁾.

وفي حديث آخر: "إن حوضي أبعد من أيلة من عدن"⁽²⁾، أيلة التي هي العقبة عندنا هنا في الأردن، وقيل: إيلات التي هي بجانب العقبة في فلسطين، وعدن معروفة في اليمن، يعني طوله من أول البحر الأحمر إلى بحر عدن.

وجاء في رواية أخرى: "طوله شهر وعرضه شهر"⁽³⁾، يعني مسيرة شهر وعرضه كذلك فيكون مربع تربيعاً، وهذا معنى قوله في الرواية التي تقدّمت: "وزواياه سواء" قال: "وهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإنّي لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه"، يعني: يدفع الذين ليسوا من أمّة محمد ﷺ ويسمح لأمته أن يشربوا منه فقط.

قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: "نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليّ غراً محجلين من أثر الوضوء"، يعني عليكم آثار الوضوء الغرة والتحجيل الذي هو البياض الذي يكون في قوائم الفرس وفي جبهتها، فيكون على أيدي وأرجل ووجوه الناس بياض من آثار الوضوء، قال: "وليصدنّ عني طائفة منكم فلا يصلون"، يعني يصدّهم الملائكة ويمنعونهم من

(1) أخرجه البخاري (6579)، ومسلم (2292) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم.

(2) أخرجه مسلم (247) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله عند البخاري.

(3) أخرجه أحمد (15121) عن جابر رضي الله عنه بلفظ: "الحوض مسيرة شهر، وزواياه سواء - يعني عرضُه مثل طوله - وكيزانه مثل نجوم السماء، وهو أطيب ريحاً من المسك، وأشدّ بياضاً من اللبن، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً"

وأما رواية: "طوله شهر وعرضه شهر" فلم أجده إلا عند الطبراني في "المعجم الكبير" (14372).

الوصول، قال: "أقول: يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟! ⁽¹⁾ هؤلاء الذين غيَّروا وبدَّلوا إمَّا بالردَّة أو بالبدعة.

هذه الأحاديث تدل على ثبوت الحوض للنبي ﷺ، وكل ما ذكر فيه من صفات تؤمن بها كما جاءت في أحاديث النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

قال: **(ولكل نبي حوض)** ورد في ذلك حديث قال فيه النبي ﷺ: "إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة" وهو عند الترمذي ⁽²⁾ وصحَّحه الحافظ المزي رحمهم الله والألباني، ورجح الترمذي المرسل.

قال: **(إلا صالحاً عليه السلام)** النبي صالح صاحب الناقة،

(فإن حوضه ضرع ناقته) هذا الحديث أخرجه العقيلي في "الضعفاء" ⁽³⁾، وكذلك أخرجه ابن عساكر في "تاريخه" ⁽⁴⁾ أن النبي ﷺ قال: "حوضي أشرب منه يوم القيامة ومن اتَّبعني من الأنبياء، ويبعث الله ناقة ثمود لصالح فيحلبها فيشربها والذين آمنوا معه... إلى آخر الحديث"، وهو حديث حكم عليه ابن الجوزي والإمام الذهبي بالوضع؛ فقالا: هو موضوع- يعني مكذوباً- في سنده عبد الكريم بن كيسان، قال العقيلي: (مجهول بالنقل وحديثه غير محفوظ)، وله طريق أخرى أخرجه الحميد بن زنجويه وأبو الشيخ في كتاب الأذان وابن عساكر ⁽⁵⁾، وإسنادها تالف أيضاً كما قال بعض أهل العلم.

فالخلاصة أن هذا الاستثناء خطأ؛ فالأحاديث التي اعتمد عليها المؤلف لا تصح، فيبقى الحديث الأول على عمومته - إن صح - ومنهم صالح عليه السلام. والله أعلم ونكتفي اليوم بهذا القدر. طبعاً حديث الحوض أنكره بعض أهل البدع وقالوا أحاديثه آحاد لا تثبت في العقيدة؛ ولذلك كذبوا به وحرّفوه على معنى الكرم والعطاء، وهم كذبة في هذا؛ فأحاديثه متواترة قد نصّ على

¹ - أخرجه مسلم (247) عن أبي هريرة، وأصله عند البخاري.

² - (2443) عن سمرة رضي الله عنه.

³ - (64/3).

⁴ - قال محقق تاريخ دمشق طبعه دار الفكر: (... سقط خبر من الأصل و م واستدرك في المجلدة العاشرة المطبوعة ص 326 - 327 ونصه:

أخبرنا أبو البركات الأنطاقي أنا محمد بن المطفر السامي أنا أحمد بن محمد العتيقي أنا يوسف بن أحمد بن البرجيل أنا محمد بن عمرو العقيلي نا صالح بن شعيب قال: نا أمية بن بسطام قال نا أبو عاصم العباداني قال نا عبد الكريم بن كيسان. عن سويد بن عمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حوضي أشرب منه يوم القيامة ومن اتبعني من المؤمنين، ويبعث الله ناقة ثمود لصالح فيحلبها فيشربها....)

⁵ - (459/10).

تواترها غير واحد من أهل العلم، ولو سلّمنا بأنها آحاد؛ فالصحيح أن أحاديث العقائد كأحاديث الأحكام لا فرق بينها، وإنما خالف في هذا أهل البدع والضلال كي يؤصّلوا أصولهم الفاسدة.